الاسطبل ــ للدواب
الحارة والشارع والزُّقاق ــ معروفة
المصطبة ــ مكان للجلوس
المِدْماك ــ الصف من اللَّبِن فى البناء
الطيَّان ــ الرجل الذى يصنع الطين للبناء
البلاط ــ الحجارة تفرش بها الأرض
العَتَلة ــ حديدة طويلة تقلع بها الحجارة
الزيج ، والامام ، خيط البناء
الرَّزَّة ــ حديدة يدخل فيها القفل
الخوخة ــ الكوة فى الجدار أو فى الباب
العريش ــ الظلة من شجر أو نحوه
الحصير ــ نسيج من القش معروف
التُّخ ــ بساط خشن معروف
المخدة ــ الوسادة للرأس
المسند ــ الوسادة يُستند عليها
الخُرْج ــ جوالق ذو ناحيتين
الدُّرج ــ ما تحفظ فيه الأشياء الصغيرة
القنينة ــ إناء للشرب
الشباك ــ النافذة

***

إن اتخاذ هذه الألفاظ وما إليها ، فى مواضعها ، يمنع التكلف الذى يجعل اللغة غريبة ، وينفى ما تقرر فى النفوس من أن لنا لغتين : واحدة نكتب بها ، والأخرى نستعملها فى الكلام

ويأخذ الطريق على الذين يدعون الى اتخاذ العامية لغة للكتابة ، فان كل حجتهم هى أن العامية هى لغة السواد ، وأن العربية أجنبية ، ومتى ثبت أنهما شىء واحد ، فقد سقطت الحجة

وليس من همى الاستقصاء ، وما أريد إلا أن أنبه الى أن درس العامية واجب ، وأن من العبث والتكلف الذى لا موجب له ، أن نبحث عن ألفاظ وهى على ألسنتنا كلما تكلمنا

ابراهيم عبد القادر المازنى

تنبيه : وقع خطأ مطبعى فى المقال السابق ، نظهر كلة شل (وهى باللام) ومعناها خاط خياطة خفيفة ، بالكاف فوجب التنبيه

النقـــــد والمثال

للأستاذ أحمد الزين

تحدثت إليك فى فصل سابق عن البيان اللفظى ومنزلته من الشعر ، وأنه من أهم ما تتفاوت به الشعراء فى مراتبهم ، وتتمايز به درجاتهم ، كما تحدثت عن الاختلاف بين لغة الشعر والكتابة والخطابة ؛ واليوم أتحدث إليك فى المعنى ، فان المعنى هو قِوام الشعر ، والعنصر الأول من عناصره ، بل هو الشعر نفسه ؛ وما حرصنا على تحسين الألفاظ وتجميل العبارات إلا ليظهر المعنى فى صورة فاتنة تجعل القلوب أشد قبولاً له ، وأقوى تأثراً به ، وينطبع فى أذهان الحفَظَة والوعاة ، ويخلد على ألسنة الرواة ؛ فلا ينال منه تعاقب الزمن ، ولا تمحوه عوادى المحن ؛ وتلك هى ميزة الشعر التى اختص بها من دون النثر ، وإلا فقد كان النثر كافياً فى تأدية المعنى وإفهام الغرض ؛ وكما أن الأصوات الغنائية المعروفة الآن بالأدوار لا تعمل عملها فى النفس إذا تليت على الأسماع كما تتلى الرسائل ، وألقيت كما تُلقى الخطب ، بل لا بد من جريانها على قواعد الفن الموسيقى الجميل ، وأدائها بالصوت العذب الرخيم حتى تبلغ فى النفوس أثرها ، وتفعل فى المشاعر فعلها ، فكذلك المعانى الشعرية لا بد فى تأديتها من حُسْن الألفاظ ، وعذوبة العبارات ، وجزالة التراكيب ، وقوة النَّسْج واطّراده ، وما إلى ذلك مما سأذكره بعد فى هذه الفصول ، ليكون أثرها فى القلوب أبلغ ، وعملها فى النزعات والميول أقوى ؛ وكما أن سوء الطبع والتحريف ، وكثرة الخطأ والتصحيف ، وتعمية الخط ، ورداءة الورق فى بعض الكتب قد تذهب بما حوت صفحاتها من علم غزير وفضل كثير وبحوث دقيقة وأفكار عميقة ، فلا غرابة أن يذهب سوء التأدية وضعف النسج والابهام فى العبارات ، والاسفاف فى الألفاظ ، بما يريده الشاعر من أغراض سامية ومعان جليلة ؛ بل إن الصلة بين المعانى والألفاظ أشد وأقوى من الصلة بين الألفاظ والكتابة ، إذ المعانى لا تؤدّى بدون العبارات ، وقد تؤدّى الألفاظ مشافهة بدون كتابة . وقد غفل أو تغافل أو عجز عن ذلك بعض الشعراء فى عصرنا ، فاعتبروا المعانى كل شىء فى الشعر ، على ما فى معانيهم من الضعف والمسخ

وسوء تناولهم إياها ، وقصور شاعريتهم عن تحويل المعنى الأصلي إلى معنى شعرى ، وقلة خبرتهم بكيفية وصفها فى الشعر ، وما إلى ذلك مما سأحدثك به عند الكلام على المعانى ؛ ولم يعنوا بالألفاظ أقل عناية ، موهمين أنفسهم وغيرهم من قصار النظر أن بيان الألفاظ ، وإشراق العبارات ، ومتانة النسج ، والبلاغة فى الأسلوب ، وإجراء الشعر على سنن الشعر العربى ، أنواع من التزيين والتحلية والزخرف الذى مضى عصره ، وانقضى زمنه ، وذهب به العصر الجديد ، ومحته آية التجديد ؛ فملأوا الصحف والدواوين بشعر لا صلة بينه وبين الشعر العربى إلا الصلة العروضية فى الوزن والقافية ؛ على أن بعضهم قد يتركهما مبالغةً فى التجديد ، محتجاً بأن ذلك نوعٌ من التقييد ؛ على أنهم بعد أن أطلقوا الألسنة والقرائح من قيودها المزعومة ، لم يأتوا بالمعجب المطرب فى معنى ولا لفظ ، ولم يبتكروا غريباً فى تشبيه ولا خيال ، ولم يخترعوا جديداً فى تصوير عاطفة ولا إحساس ؛ وإنك لتقرأ ديوان أحدهم من ألفه إلى يائه فلا تظفر منه ببيت يعلق بذهنك فتعيده ، ولا معنى يملك لبَّك فتستجيده ؛ وسبب ذلك يرجع إلى أنهم لم يقرأوا من الأدب العربى القديم ولا من علوم العربية ما يقوّمون به ألسنتهم ، ولم يتعلموا من فحول الشعراء المتقدمين ما يهذبون به معانيهم قبل وضعها فى قالبها الشعرى ، ويميزون به بين المعنى الشعرى وغيره من معانى الكتابة والخطابة ، فانه مما لا يتنازع فيه ذو ذوق فنى دقيق أن المعنى الواحد تختلف صوره باختلاف تأديته فى هذه الصناعات الثلاث ، وأن الشعر والكتابة والخطابة كما تختلف فى ألفاظها وعباراتها تختلف فى تصوير معانيها وأغراضها ، فان الخطيب لا يعمد فى تصوير معانيه إلى خلودها على مرّ العصور ، وبقائها محفوظة فى الصدور ، ولكن يقصد إلى نوع من الاثارة الوقتية يلهب بها حميّة الجمهور إلى ما يريده من الأمور ؛ فاذا فترت هم الجمهور بعد ذلك الموقف لجأ إلى خطبة أخرى وهكذا ، ففن الخطيب فنٌّ وقتى لا فن خالد ، ولذلك لم ينقل الرُّواة الينا من خطب الأوّلين ومواقفهم فى المخاصمات والمصالحات وفى حضرة الخلفاء والأمراء ما يوازى كلُّه ديواناً واحداً من دواوين الشعراء ، ولا مجموعةً واحدةً من رسائل الكتّاب . أما الشاعر والكاتب فانهما يقصدان فى تصوير معانيهما إلى خلودها وبقائها ؛ والفرق بينهما أن قصدَ الشاعر إلى تخليد أثره أكثر ، وحرصه على بقاء فنّه أقوى ، فهو يضع فى معانيه وألفاظه من جمال التصوير وروعة الفن ما يرى أنه كفيل ببقاء شعره وحياته على الزمن

ولذلك كانت رواية الشعر أشيَع ، وما نُقل إلينا منه أكثر

وأيضاً فان الكاتب والخطيب يبالغان فى تقرير المعنى وتأكيده فى الأذهان باكثار الأمثلة وذكر الأشباه والنظائر إلى حدّ الاستقصاء أحياناً ؛ أما الشاعر فيقتصر من ذلك على قدر الحاجة ، فان الشعر ضيّق لا يحتمل ذلك الطول ، بل يراه فى بعض الأحيان نوعاً من الفضول . وثم فرق ثالث هو أن الخطيب يراعى فى تصوير معانيه أن تكون سطحية بسيطة ، قريبة الغور ، سريعة إلى الفهم ، فانه يوجهها إلى عقلية بسيطة هى عقلية الجماعة ؛ وكما أن هذه العقلية سريعة القياد ، فهى سريعة الجموح ، لا يؤمن نفارُها ؛ وما أقرب انصرافها وإعراضها عن الخطيب إذا رأت فى معانيه ما يكلفها مشقّة الفهم وعناءَ الفكر ، ولذلك يعتمد الخطيب فى خطبته على الصوت والالقاء وملابسات الموقف أكثر من اعتماده على غرابة المعنى وعمق الفكر

أما الكاتب والشاعر فيغربان فى معانيهما ما شاءا ، ويتعمقان فى ذلك ما أرادا ؛ تلك هى بعض الفروق بين المعانى فى الصناعات الثلاث ؛ فاذا رأيت فى إحدى هذه الصناعات بعض الميزات الغريبة عنها فهى مستعارةٌ من غيرها لا أصليّةٌ فيها ؛ ولا غرابة فى أن ترى الشاعر خطيباً أو كاتباً فى قصيدته ، ولا أن ترى الكاتب شاعراً أو خطيباً فى رسالته ، ولا أن ترى الخطيب شاعراً أو كاتباً فى خطبته ؛ وإنك إذا قرأت شعر ابن الرومى وجدت فيه كثيراً من تقسيمات الكتاب وتعليلاتهم والاستدلالات المنطقية ، والاحتجاجات الملزمة للخصم ، كقوله :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

وقوله يخاطب صديقاً :

قد حلفنا على الوفاء جميعاً ... واجتهدنا وذاك جهد المطيق
فبأى الأحكام توجب تصدي ... ك حتما ولا ترى تصديقى
وبأى الأحكام قولك برها ... ن وقولى من خُلّبات البروق
ليس فى العدل أن تحكم فى قو ... لك فارجع إلى سواء الطريق
ما من الدعوى بين إن ضقت دعوى ... غير محتاجة إلى تحقيق
ولنا إن رددت ما ندّعيه ... ردُّ ما تدعيه ، ضيقاً بضيق